المحاضرة الثانية

محاضرا الأسلوبية وتحليل الخطاب

المحاضرة الثانية:

الأهداف العامة:

تهدف هذه المحاضرة إلى :

ـــ تعريف الطالب بمستويات التحليل الأسلوبي ومحددات الأسلوب

الأسئلة والإشكالية :

ـــ ما هي مستويات التحليل الأسلوبي ؟

ـــــ ما هي محددات الأسلوب؟

- مستويات التحليل الأسلوبي

التحليل الأسلوبي لا يمكنه تجاوز المكونات اللسانية للخطاب وذلك أن موضوع الأسلوبيات يبحث في بنية المعنى من خلال تمظهرها و تمفصلها وفق مستويات الخطاب التي تعتبر أطرا نقدية في يد القارئ تجعلنا نميز بين البنية التركيبية ، والبنية الصوتية ، وكذلك بنية الدلالة و المعجم التي تمكننا من رصد السمات الأسلوبية داخل هذه البنى .

المستوى التركيبي:

يهتم علم الصرف ببنية الكلمة من حيث ردها إلى أوزانها ومعرفة هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها وكل ما يطرأ على الكلمة من تغير ، وكل ما يدخل عليها من زوائد، وحروف ، وتقديم، وتأخير، وإعلال، وإبدال..1ويعتبر إرجاع الألفاظ العربية إلى أوزان معينة وفق شروط محددة ووفق اشتغال آلة الاشتقاق التي تعد من أهم مزايا العربية حيث تجعلها أكثر مرونة وثراء ، وأكثر تميزا من اللغات الأخرى خاصة في هذا الجانب ، وإذا كان علم الصرف يدرس بنية الكلمة فإن علم النحو يقتفي بنية هذه الكلمة من حيث سلامتها الوظيفية والقواعدية أي من حيث وجودها في بنية علائقية ترتبط بما قبلها وبما بعدها في المستوى الخطي لتركيب الجملة باعتبار أن الجملة هي ميدان دراسة النحو ، لذا يشترط علماء النحو أن يجري ترتيب الكلمات حسب ما رسموه من قواعد فلا يخل المتكلم بشيء منها ، وهو ما يؤكد أن النحو قد نشأ في أول أمره وفق قاعدة الصواب والخطأ أو ما يجوز وما لا يجوز في اللغة بما يعبر عنه أبواب ومباحث النحو المختلفة التي تحافظ على مبدأ السلامة اللغوية، لكن الدرس النحوي العربي تجاوز هذه المرحلة خاصة عند عبد القاهر الجرجاني الذي استطاع ربط النحو بالبلاغة والمستوى التركيبي بالدلالة وجمالية النص ، وهو ما أكده تشومسكي Noam

1 - ينظر : صالح بلعيد : نظرية النظم ، الجزائر ، دار هومة ، ص09.

2.Chomsky في القرن العشرين الذي اعتد بالقدرة الإبداعية لآلية النحو رابطا قاعدة التحويل والتوليد بالمعنى والدلالة على غرار التركيب، ومن هنا تبرز قيمة المستوى التركيبي بالنسبة للدراسة الأسلوبية .

- المستوى الصوتي :

يعتبر علم الصوتيات من أهم الفروع النظرية لعلم اللغة حيث يحتل مكانة بارزة في الدراسات اللسانية وذلك لصلته المباشرة بالأداء الكلامي حيث تعد الدراسة الصوتية المحور الأول للولوج إلى أي نص أدبي انطلاقا من أصغر وحداته المشكلة للمستوى الأول في الدراسة النقدية ولهذا فإن هذه الوحدات هي التي ينبني عليها العمل الأدبي مهما تباينت أجناسه .

وأكيد أن لهذا العلم اتجاهات عدة فهو فيزيولوجي الجانب إذا تعلق بالجهاز النطقي أو السمعي الذي يعنى بالعملية الصوتية، وهو فيزيائي إذا كان يرصد تحرك الصوت في الهواء أو المجال الأكوستيكي كما له صلة مباشرة بعلم النفس فيما يخص الأمراض الكلامية وهذا الجانب يشترك فيه كل اللغات البشرية باعتبار أن الكلام خاصة إنسانية.

ولكن الجانب المهم في الصوتيات هو دخولها في النظام اللغوي ليس كعنصر مادي مستقل ، ولكن بصفة فاعلة في عملية الخطاب ومساهمته في صناعة الدلالة, وهو ما يفسره علم الأصوات الوظيفي "Phonologie" الذي ازدهر مع حلقة براغ "Cercle de Prague" وإسهامات ياكبسون، وذلك لارتباطه بالدلالة وأثره في المعنى من خلال تعدد المظاهر الصوتية كالنبر والتنغيم ...وكذلك بيان الجانب الوظيفي للصوت وأثره في المعنى.

- المستوى الدلالي والمعجمي:

يمكن القول أن تواطؤ المستوى الصوتي والتركيبي هو المحصل للمستوى الدلالي حيث تتضافر كل من العلوم النظرية واللغوية التي تنتج في الأخير الفكر الدلالي3 .

وقد استأثرت قضية المعنى باهتمام علماء اللغة والبلاغة وكان لنزول القرآن الكريم أثر كبير في تطور دلالة الألفاظ، حيث يعد النص القرآني الأساس فيما ابتدع العرب من علوم البلاغة هذا ما قرّره علماء العرب أنفسهم حينما جعلوه مقياسا للتطبيق ومعيارا للمفاضلة بين نصّ و نصّ وفنّ و فنّ، باعتبار أن النص القرآني أرقى نص أدبي وبلاغي في لغة العرب.يهتم المستوى الدلالي بالمعنى وظلاله وطرائق التعبير عنه بأشكال مختلفة والصلة بين اللفظ ودلالته وكذا الاهتمام بالمدلول اللغوي للمفردة في السياق الذي وردت فيه, كما يبحث أيضا عن معنى الجملة من خلال الأداء الفني وصولا إلى المعنى المراد التعبير عنه بحسب تنوع الظروف المقامية، وأشكال الأنماط التخاطبية .

لقد عُنِيَ علماء البلاغة العرب بالسبل التي تبرز الناحية الجمالية في التعبير لا مجرد إفهام المتلقي وإيصال المعنى له، لذلك انصبّ اهتمامهم على المفهوم الدلالي وتنوّع مستوياته

---

2 - ينظر : محمد محمد يونس علي : مدخل إلى اللسانيات ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ط01 ، 2004 ، ص83.

3 - ينظر : منقور عبد الجليل : علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، 2001، ص17 .

للمفردة الواحدة ضمن السياق التعبيري الذي وردت فيه، ثم الانتقال بعدها إلى التكوين الدلالي للجملة وطرائق صياغتها، كما أولوا عنايتهم بمعرفة الظواهر اللغوية ووظائفها, وأحوال اللفظ, ووضوح دلالته ومن ثمّ حصر الألفاظ في مجموعة حقول تدعى الحقول الدلالية وكذا عنصر إبراز مجموعة الصور الفنيّة الواردة من تشبيهات و مجازات و استعارات و كنايات، وهو ما أعطى لهذا العلم بعدا آخر في اللسانيات الحديثة خاصة عند تشومسكي والبحث الأسلوبي بالتحديد حيث أصبح المعنى هو ميدان الدراسة وموضوعها، بل وأصبحت كل دراسة نقدية تبحث عن تجليات المعنى وتحولاته داخل بناء النص وخارجه.

ـ محددات الأسلوب

<u>الاختيار:</u>

يتشكل الأسلوب من خلال عاملين أساسيين وهما الاختيار والتوزيع، أو الاستبدال والتأليف حيث يعمد المتكلم إلى اختيار بعض المظاهر المحدودة في اللغة ثم يقوم بتوزيعها في مستوى خطي مراعيا قواعد النظم والتأليف، على اعتبار أن اللغة مجموعة من الإمكانات المفتوحة التي تسمح لمنشئ الكلام في التصرف بهذه الإمكانات وذلك بالانتقاء والاختيار، ثم التأليف والترتيب الذي يجعل للكلام صفة الأسلوب في مقابل أساليب أخرى، وعلى اختلاف بين الأسلوبيين في تحديد ماهية الاختيار وطبيعة تشكله إلا أنهم اتفقوا على أهمية هذه الخاصية بالنسبة للأسلوب وأوّليتها، فـ (مروزو) يعتبر الاختيار موقف من ضمن إمكانات اللغة و(كرسو) يعتقد بأنه عقد من الوعي المشترك بين المرسل والمستقبل في حين يرى (ليو سبتزر) أنه ممارسة عملية لأدوات اللغة...4

وقد ذكر البلاغيون العرب موضوع الاختيار وأثره في صياغة الكلام وصناعة الشعر فالجاحظ يرى في سياق حديثه عن صناعة الشعر أنه تخير اللفظ في حسن الإفهام وابن المدبر يربط أساس صناعة الكلام بالاختيار إذ ليس شيء أصعب من اختيار الألفاظ وقصدك بها إلى موضعها، ولابد أن مصطلح الفصاحة مرتبط مباشرة بمصطلح الاختيار إذ عليه يتم انتقاء أفصح الألفاظ وأصحها وأكثرها جريانا على الألسنة، ولهذا كان موضوع الاختيار شائعا عند البلاغيين القدماء وعند النقاد وصناع الشعر، أما بالنسبة للمحدثين فليس كل اختيار يمكن وصفه بالأسلوبي لأنهم يفرقون بين نوعين من الاختيارات:

ـ اختيار مقامي آني تواصلي وهو اختيار أدائي نفعي يهدف إلى تحقيق أغراض معينة وفق ما يقتضيه الموقف والمقام إذ لا يملك فيه منشئ الكلام إلا إمكانيات محدودة تلبي لحظة التواصل .

ـ اختيار محكوم بمقتضيات التعبير وهو اختيار واعي ومقصود يتكئ على قواعد اللغة بمفهومها الشامل ويستثمرها أحسن استثمار وذلك بإخراج الكلام في أحسن صورة ممكنة ومبتكرة تدل على مهارة المتكلم وقدرته على التصرف من مخزون اللغة وطاقاتها الكامنة،

4 - ينظر : محمد الكواز : علم الأسلوب ، ص83 ، 84.

ويدخل تحت هذا الاختيار أبواب البلاغة المختلفة وكذلك اختيارات الأدباء والكتاب بما يكشف عن هوية أسلوبية واضحة المعالم ويمكن تمييزها عن غيرها .

التوزيع التأليف

إن عملية الاختيار لوحدها لا يمكن أن يبنى من ورائها شيء ما لم تعقد في نظم محكم الترتيب يخضع لقوانين اللغة وأعراف اللسان المتواضع عليها وهو ما يطلق عليه ب" **التوزيع"** على أساس أن الأسلوب إسقاط لمحور الاختيار على محور التوزيع، والتوزيع، أو التأليف، أو الترتيب، التركيب.. أهم مرحلة يمكن من خلالها الوصول إلى إنتاج خطاب لغوي تواصلي أو أدبي صحيح قواعديا وسليم من منظور الملكة اللسانية وفق منطق العلاقات الركنية الاستبدالية في مستوى خطي تتوزع فيه الحروف والكلمات سياقيا لتعبر عن انسجامها الدلالي والصوتي المنشود.

ولا جرم أن هناك العديد من المصطلحات البلاغية القديمة التي تتفق ومصطلح التوزيع من قبيل مصطلح النظم، التأليف، الصياغة.. التي عبر بها القدماء عن تفاوت الأسلوب وعلو بعضه على بعض.

ويعد التركيب والبناء أهم ما يمكن أن نميز به النص الأدبي باعتبار أن النص عبارة عن كون مفتوح من العلاقات اللغوية والفنية التي ترتفع بالخطاب الأدبي إلى المستوى الفني والجمالي من خلال وحدته وانسجامه الداخلي، وفي هذا يرى مشال رفاتير أن الخطاب الأدبي تركيب جمالي للوحدات اللغوية من خلال استثمار معاني النحو التي تمنحه الوظيفة الأدبية التي هي سر من أسرار خصائصه البنيوية والتركيبية والوظيفية..

الانزياح :

يمكن الحديث عن مفهوم الاختيار ومفهوم التأليف كعنصرين أساسيين يتضح من خلالهما معالم الأسلوب ويمكن وصف كل عملية تخاطب على أساس أنها عملية لا يمكن أن تتجاوز مرحلتي الاختيار والتوزيع وبالتالي فإن إنتاج (أي كلام) هو بالضرورة محكوم بالمراحل السابقة، ولكن إذا تم اختراق هذه المراحل والخروج بها من مجرد إنشاء الكلام إلى نمط آخر من الكلام يبعث على الشعور بالجمال من منظور غير معتاد وغير مألوف في أبجديات الخطاب نصبح أمام ظاهرة أخرى في اللغة يمكن وصفها بـ" **الانزياح"** وهذا الأخير هو انحراف أسلوبي عن اللغة المألوفة[5] ومن خلال استثمار طاقات اللغة وإمكاناتها الكامنة في التعبير الأدبي، ومن هنا يمكن وصف كل نص أدبي بأنه نص منزاح أو نص فيه انزياح لأن النص الأدبي يتجاوز اللغة الأدائية والمستوى العادي في إخراج الكلام ويهدف إلى إثارة المتلقي من خلال لفت انتباهه إلى وظائف أخرى للغة هي الوظيفة الفنية الجمالية، باعتبار أن النص الأدبي يخرق قانون الدلالة فيطرح إمكانية تعدد المدلولات وتنوعها ومن ذلك أصبح البحث الأسلوبي يتركز أساسا على موضوع الانزياح ودرجة انتشاره في النص الأدبي، أو هو فعل مقصود يتعمده الكاتب لخلق ما يشبه الدهشة أو الحيرة التي تحفز القارئ

---

5 - جون كوهين : بنية اللغة الشعرية ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري محمد الوالي وحمد العمري ، الدار البيضاء ، دار توبقال ، ط01 ، 1986 ، ص6 .

لاكتشاف مساحات أخرى للمعنى لم تكن لتظهر لولا هذا التضمين الواعي لذلك اعتبر ريفاتير الانزياح بأنه حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ، وقد استقر ريفاتير عند فكرة الانحراف الداخلي بعد أن تبين له أن طريقة القارئ العمدة ـ القارئ الذي لديه القدرة على تمييز النص واكتناهه وسبر محتواه ـ تكفي لاكتشاف الانحراف، ويحدد ريفاتير معيار الانحراف بالسياق الخارجي ويسمي وحدته الأساسية السياق الأصغر فهما مع الانحراف أو المخالفة يكونان معا ما يسميه انحرافا أسلوبيا، ويربط ريفاتير الانزياح بعنصر مهم وهو عنصر المفاجأة، حتى أنه رد ميزة النص الأدبي إلى هذا العنصر حيث تنتج القوة الأسلوبية من إدخال عنصر غير متوقع إلى النموذج، فالسياق الأسلوبي يتكون من نموذج لغوي يكسره بغتة عنصر لا يتنبأ به لأن الانزياح هو الخروج عن النمط التعبيري المتواضع عليه، هو خرق للقواعد حينا ولجوء إلى ماندر من الصيغ حينا آخر6.
ويرتبط مفهوم الأسلوب عنده بعنصر المفاجأة الذي يبهر القارئ ويحدث صدمة في نفسه، فكلما كانت السمة الأسلوبية متضمنة للمفاجأة فإنها تحدث خلخلة وهزة في إدراك القارئ ووعيه، وهذا ربما ما يقصده ريفاتير بالانحراف انحرافا .

أما " ياكبسون " فيعبر عن هذه الميزة بمصطلح آخر وهو خيبة الانتظار أو الانتظار الخائب الذي يدل على عدم القدرة على التوقع، وهي تشير إلى قدرة الكاتب في القفز على سقف الإمكانات المعتادة والمتاحة التي هي في دائرة وعي المتلقي، ويربط "جان كوهين" نظرية الانزياح بالنص الأدبي ربطا مباشرا إلا أنه يميز بين درجة انتشاره بالنسبة للنص النثري والنص الشعري ويعتقد كوهين أن النثر هو اللغة الطبيعية وبالتالي لا مجال للحديث عن الانزياح هنا إلا بدرجة أقل أما الشعر فهو لغة الفن والجمال وهو موضوع الانزياح وبذلك كان مفهوم كوهين للشعر أنه عبارة عن نسق من الانزياحات التي تقوم عليها الصورة الشعرية7 .

ويتخذ "ليو سبتزر" من الانزياح مقياسا لضبط الأسلوب من خلال تقدير كثافة عمقه ودرجة نجاعته في النص الأدبي، وهو على ضوء ذلك يعرف الأسلوبية بأنها استخدام للعناصر التي تمدنا بها اللغة وأن ما يمكن أن يميز ذلك الاستخدام هو الانحراف الأسلوبي الفردي وما ينتج من انزياح عن الاستعمال العادي ، ذلك أن معظم الانحرافات قد تنم عن أصل روحي أو خواص نفسية مشتركة عند مؤلف معين.8

وهذه الاختلافات حول مفهوم الانزياح وكيفية تحديده تبقى هامشية باعتبار أنها تحاول جميعا أن تضبط كشفا اشاريا للغة على أساس انزياح التوترات المنخفضة أو المرتفعة من أصوات، كلمات، صيغ، أبنية.. بالقياس إلى لغة متوسطة إحصائيا .

ولا جرم أن هذا المصطلح كان له صداه في البحث الأسلوبي العربي عند المسدي، وسعد مصلوح، وشكري عياد... وغيرهم وقد ربطه بعضهم بالامتداد التراثي لهذا المصطلح بلاغيا

---

6 - عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، ط02 ، ص103.
7 - ينظر : جون كوهين : بنية اللغة الشعرية ، تر: محمد الوالي وحمد العمري ، الدار البيضاء ، دار توبقال ، ط01، 1986 ، ص15.
8 - ينظر : صلاح فضل : علم الأسلوب ، ص58.

ونقديا في مفاهيم كثيرة التداول عند القدماء منها العدول، الضرورة، الشعرية، اللحن، الغلط، المجاز...